

دوائر ثقافية



موقف	محمد بن أبي حذيفة، شهيد الولاية	الشيخ الطوسي <small>رحمته</small>
فرائد	..على أن لا تسألوا أحداً شيئاً	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(مسار الشيعة) للشيخ المفيد <small>رحمته</small>	إعداد: «شعائر»
بصائر	..من مات على حب آل محمد	فخر الدين الرازي
مصطلحات	الفقه	المحقق الشيخ حسن المصطفوي
مفكرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان / شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية / تقرير	إعداد: ياسر حمادة

«خرج مع عليّ كلُّ صَوَامِ قَوَامٍ، وخرج معك أبناءُ الطلقاء»

محمد بن أبي حذيفة ابن خال معاوية، وشهيد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

الشيخ الطوسي

كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن أنصاره وأشياعه، وكان ابن خال معاوية، وكان رجلاً من خيار المسلمين، فلما (استشهد) عليّ عليه السلام أخذه معاوية وأراد قتله، فحبسه في السجن دهرًا، ثم قال معاوية ذات يوم: ألا تُرسل إلى هذا السفية، محمد بن أبي حذيفة فنبكته، ونُخبره بضلاله، ونأمره أن يقوم فيسب عليًا؟! قالوا: نعم.

فبعث إليه معاوية فأخرجه من السجن، فقال له معاوية: يا محمد بن أبي حذيفة، ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك عليّ بن أبي طالب..؟ ألم تعلم أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه؟ وأن عليًا هو الذي دس في قتله ونحن اليوم نطلب بدمه؟

قال محمد بن أبي حذيفة: إنك لتعلم أني أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك. قال: أجل.

قال: فوالله الذي لا إله غيره، ما أعلم أحداً شَرَك في دم عثمان وألب عليه غيرك، لما استعملك ومن كان مثلك، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبي، ففعلوا به ما بلغك، ووالله ما أحدٌ أشرك في قتله بدءاً ولا أخيراً إلا طلحة والزبير وعائشة، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وألبوا عليه الناس، وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وعمار، والأنصار جميعاً. قال (معاوية): قد كان ذاك.

قال: والله إنني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلی خُلقت واحد. ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً، وإن علامة ذلك فيك لبينة؛ تلومني على حبي علياً! خرج مع عليّ كلُّ صَوَامِ قَوَامٍ مهاجريٍّ وأنصاريٍّ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلاقاء والعقلاء، خدعتهم عن دينهم، وخدعوك عن دنياك، والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا، إذ أحلّوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك، والله لا أزال أحب علياً لله، وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت.

قال معاوية: (وإنني أراك على ضلالك بعد، ردّوه)، فردّوه وهو يقرأ في السجن: ﴿.. رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ..﴾ يوسف: ٣٣، فمات في السجن.

(اختيار معرفة الرجال: ١/ ٢٨٧-٢٨٨)

* في (الغارات) للثقيفي وفي غيره أن محمدًا بن أبي حذيفة، ابن خال معاوية، كان من أشدّ الناس على عثمان بن عفان، وألب الناس عليه بمصر وغيرها، وحبسه معاوية بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ففرّ من محبسه إلى أن ظفر به بعض موالي معاوية ملتجئًا في جبل لبنان، فقتله.

فرائد

وزع ستة ملايين درهم

ولم يأخذ شيئاً

«قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر عليٌّ عليه السلام يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناسٍ من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: (غزِي غيري)، مراراً، ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصوب، وقال: (اقسموه بين أصحابي خمسمائة)، فقسّم بينهم. فلا والذي بعث محمداً بالحق، ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناسُ اثنا عشر ألفاً.

[قال] حبة العرين: قسّم عليٌّ عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحدٍ منهم، فجاءه إنسانٌ لم يحضر الواقعة، فقال: (يا أمير المؤمنين، كنتُ شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسми، فأعطني من الفيء شيئاً). فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يُصب من الفيء شيئاً.

(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/٩٤٢-١٠٥٢)

لا يموت حتى يحمل راية ضلالة

«.. عن أمّ حكيم بنت عمرو، قالت: خرجتُ وأنا أشتهي أن أسمع كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدنوتُ منه وفي الناس رقّة، وهو يخطبُ على المنبر، حتى سمعتُ كلامه، فقال رجلٌ: (يا أمير المؤمنين، استغفر لخالد بن عرفطة، فإنه قد مات بأرض تيماء)، فلم يردّ عليه، فقال الثانية، فلم يردّ عليه، ثم قال الثالثة، فالتفت إليه، فقال: (أيها الناعي خالد بن عرفطة، كذبت، والله ما مات، ولا يموت حتى يدخل من هذا الباب [باب مسجد الكوفة]، يحمل راية ضلالة).

قالت: فرأيتُ خالد بن عرفطة يحمل راية معاوية، حتى نزل نخيلة وأدخلها من باب الفيل».

(الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص ٢٥)

.. على أن لا تسألوا أحداً شيئاً

عن الإمام الصادق عليه السلام: «جاءتُ فخذتُ من الأنصارِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسلموا عليه، فردّ عليهم السلام، فقالوا: يا رسول الله لنا إليك حاجةٌ.

قال: هاتوا حاجتكم، قالوا: إنها حاجةٌ عظيمةٌ. قال: هاتوا، ما هي؟ قالوا: تضمّن لنا على ربك الجنة... فقال: أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً... فكان الرجلُ منهم يكون في السفر فيسقط سوطه، فيكره أن يقول لإنسان: (ناولنيه) فراراً من المسألة، فينزّل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعضُ الجلساء أقرب منه إلى الماء، فلا يقول: (ناولني)، حتى يقوم فيشرب».

(العلامة الحلي، منتهى المطلب: ٨/٥٠٦-٥٠٧)

يبني بالليل ويهدم بالنهار

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مثلُ العابد الذي لا يتفقه، كمثل الذي يبني بالليل ويهدم بالنهار».

(الريشهري، ميزان الحكمة، ٤/٢٤٨٢)

﴿.. وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ..﴾

(مَسَارُّ الشَّيْخَةِ فِي مَخْتَصَرِ تَوَارِيخِ الشَّرِيعَةِ) لِلشَّيْخِ المَفِيدِ

إعداد: «شعائر»



الكتاب: مسارّ الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة

المؤلف: الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العُكْبَرِيُّ البغدادي (ت: ٤١٣ هجرية)

المحقق: الشيخ مهدي نجف

الناشر: «المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد»، ١٤١٣ هجرية

ثالثاً: ذكر تحت عنوان كلّ مناسبة ما ورد فيها من أعمال -واجبة أو مستحبة- حسب ما وردت به روايات أهل البيت وآثارهم عليهم السلام.

كما يمتاز هذا الكتاب بأنه من الكتب القليلة التي دونها الشيخ المفيد بقلمه، بخلاف أكثر آثاره التي كانت أمالي ألّفها على تلامذته؛ لذا يمكن الاعتماد على نسخته المحققة، والتوثق من عباراته على أنّها منه رحمه الله.

مقدمة المؤلف

يقول الشيخ المفيد في مقدمته على الكتاب ما ملخصه: «.. وقفتُ على الحاجة إلى مختصرٍ في تاريخ أيام مسارّ الشيعة وأعمالها، ولم يزل الصالحون من هذه الجماعة على مرور الأوقات يراعون هذه التواريخ؛ لإقامة العبادات فيها، والقرب بالطاعات، واستعمال ما يلزم العمل به في الأيام المذكورات، وإقامة حدود الدين في فرق ما بين أوقات المسارّ والأحزان.. فإذا انتهيتُ في كلّ فصلٍ منه إلى ذكر الأعمال، شرحتُ منها ما كان القول مفيداً له على الإيجاز، وبينتُ عن كلّ عملٍ أعرب الخبر عنه بالشرح والتفصيل، وأجملتُ منه أكثر القول.. وأقدم فيما أرتبه من ذكر الشهور شهر رمضان؛ لتقدمه في مُحكم القرآن، ولما فيه من العبادات والمقربات، ولكونه عند آل الرسول عليه وعليهم السلام أوّل الشهور في ملة الإسلام..».

(مسارّ الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة) للشيخ السعيد أبي عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، المتوفى سنة ٤١٣ هجرية، وعبر عنه النجاشي بـ(التواريخ الشرعية)، وهو رسالة مختصرة حول الأيام المباركة والأعياد الدينية، ومواليد المعصومين عليهم السلام ووفياتهم، والأعمال الواردة في تلك الأيام عن طريق الأئمة الهداة المهديين. وعلى نسقه (توضيح المقاصد) للشيخ البهائي العاملي، و(تقويم الشيعة) لعبد الحسين النيسابوري المعاصر.

احتوت الحضارة الإسلامية عدّة مناسبات أشاد بذكرها القرآن الكريم بعنوان: «أيام معلومات»، أو «أيام الله»، وعينها أحياناً بالاسم، كـ«يوم بدر»، و«يوم حُنين». وقد قرّر الشارع الكريم للمناسبات المتنوعة وظائف خاصّة، متناسبة وطبيعة كلّ واحدةٍ منها.. ومن هنا، فإنّ على المؤمنين أن يعرفوا تلك المناسبات والأيام بتواريخها وأعمالها؛ لأنّ معرفة هذا الباب - كما يقول الشيخ المفيد في مقدمة الكتاب: «من حلية أصل الإيمان، ومما يقبح إغفاله بأهل الفضل والإيمان».

ومنهج الشيخ المفيد في تأليف (مسارّ الشيعة) أنّه:

أولاً: بنى على الاختصار في ذكر المناسبات وشرح الوقائع. ثانياً: رتب الكتاب على ترتيب الأشهر العربية، مبتدئاً بشهر رمضان على أنّه أوّل أشهر السنة.

* المقال مقتبس عمّا نُشر حول الكتاب في الموقع الإلكتروني لشبكة الإمام الرضا عليه السلام

فقرات وإشارات من الكتاب

شرح الشيخ المفيد رضوان الله عليه بشهر رمضان، آخذاً بما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «شهر رمضان رأس السنة»، فكتب:

«شهر رمضان: هذا الشهر سيد الشهور على الأثر المنقول عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وهو ربيع المؤمنين بالخبر الظاهر عن العترة الصادقين عليهم السلام...».

ثم شرع الشيخ المفيد بعرض الأعمال المستحبة فضلاً عن الواجبة، يشفعها بذكر مناسبات الشهر، مع تعليقات تاريخية وعقائدية وعبادية، منها قوله:

«.. وفي يوم النصف منه سنة ثلاث من الهجرة كان مولد سيدنا أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.. وفي ليلة سبعة عشر منه كانت ليلة بدر، وهي ليلة الفرقان، ليلة مسرة لأهل الإسلام.. وفي ليلة إحدى وعشرين منه كان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها رُفع عيسى ابن مريم عليهما السلام، وفيها قبض موسى بن عمران عليه السلام، وفي مثلها قبض وصيه يوشع بن نون عليه السلام، وفيها كانت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٤٠ من الهجرة، وهي الليلة التي تتجدد فيها أحزان آل محمد عليهم السلام وأشياعهم...».

حتى إذا بلغ الشيخ المفيد شهر محرم الحرام كتب تحت عنوانه: «هو شهر حرام، كانت الجاهلية تُعظمه وثبت ذلك في الإسلام.. (إلى أن قال): وفي اليوم العاشر منه مقتل سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام من سنة ٦١ من الهجرة، وهو يوم تتجدد فيه أحزان آل محمد عليهم السلام وشيعتهم، وقد جاءت الرواية عن الصادقين عليهم السلام باجتنب الملاذ، وإقامة سنن المصائب، والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس.. ويُستحب فيه زيارة المشاهد، والإكثار فيها من الصلاة على محمد وآله، والابتهاج إلى الله تعالى باللعة على أعدائهم...». ثم ذكر فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام فيه.

إلى أن ينتهي الشيخ المفيد في كتابه بشهر شعبان، فيقول معرّفاً: «هو شهر شريف، عظيم البركات.. في اليوم الثالث منه مولد الحسين عليه السلام. وفي ليلة النصف منه سنة ٢٥٤ من الهجرة كان مولد سيدنا صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين.. وفي هذه الليلة تكون زيارة سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام». ثم آخر ما كتبه الشيخ المفيد، هو: «.. واتفق الفراغ من تسويد هذه الأوراق بعون الله وحسن توفيقه سادس عشر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، على يد العبد الفقير إلى الله الغني: محمد بن محمد بن نعمان أصلح الله حاله».

كتاب (مسار الشيعة)

رسالة مختصرة

حول الأيام المباركة

والأعياد الدينية،

ومواليد المعصومين

عليهم السلام

وشهادتهم، والأعمال

الواردة في تلك الأيام

.. مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الدُّعَاءُ لَهُمْ مِنْصِبٌ عَظِيمٌ وَخَاتِمَةُ التَّشَهُدِ فِي الصَّلَاةِ

— فخر الدين الرازي —

نقل صاحب (الكشاف) - أي الزمخشري - عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيداً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفُوراً لَهُ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ تَائِباً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤمناً مُسْتَكْمِلاً لِلْإِيمَانِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ مُنَكَّرٌ وَنَكِيرٌ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُزَفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تُزَفُّ الْعُرُوسُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَتُحَّ لُهُ فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الْجَنَّةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوباً بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِراً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ.

هذا هو الذي رواه صاحب (الكشاف)، وأنا أقول:

«آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل مَنْ كان أمرهم إليه أشدَّ وأكمل كانوا هم الآل،

ولا شكَّ أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين [عليهم السلام] كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله]

وسلَّم أشدَّ التعلُّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم (الآل).

وأيضاً اختلف الناس في (الآل)؛ فقليل: هم الأقارب. وقيل: هم أمتة.

فإن حملناه على القرابة فهم - أي أصحاب الكساء - الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته، فهم أيضاً (آل).

فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل.

وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلفٌ فيه. روى صاحب (الكشاف) أنه لما نزلت هذه الآية - آية المودة

في القُربى - قيل: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال: (عليٌّ وفاطمةُ وابناهما)، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم. وإذا ثبت هذا وجب

أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. ويدلُّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿..إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..﴾ الشورى: ٢٣، ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب فاطمة [عليها السلام]. قال صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها). وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يحب علياً والحسن والحسين [عليهم السلام]، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.. ﴿الاعراف: ١٥٨﴾، ولقوله تعالى: ﴿..فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾.. ﴿النور: ٦٣﴾، ولقوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.. ﴿آل عمران: ٣١﴾، ولقوله سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.. ﴿الأحزاب: ٢١﴾.

الثالث: أن الدعاء لآل منسب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد)، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب...).

(تفسير الرازي: ٢٧/١٦٥-١٦٦)

مَنْ أَسَدِي إِلَى أَخِيهِ مَعْرُوفًا أَوْ نَفْسٍ عَنْهُ كُرْبَةً

«... عن رجل من أهل الري، قال: وُلِّي علينا بعضُ كتّاب يحيى بن خالد، وكان عليّ بقايا يطالبني بها، وخفتُ من إلزامي إيها خروجاً عن نعمتي، وقيل لي: إنه يتحل هذا المذهب، فخفتُ أن أمضي إليه فلا يكون كذلك، فأقع في ما لا أحب، فاجتمع رأيي على أني هربت إلى الله تعالى وحججتُ ولقيتُ مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام - فشكوتُ حالي إليه، فأصحبني مكتوباً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أن الله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفس عنه كربةً، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك. والسلام).

قال: فعدتُ من الحج إلى بلدي، ومضيتُ إلى الرجل ليلاً، واستأذنتُ عليه، وقلت: رسول الصابر عليه السلام، فخرج إليّ حافياً ماشياً، ففتح لي بابه، وقبّلني وضمّني إليه، وجعل يقبّل بين عيني، ويكرّر ذلك كلما سألتني عن رؤيته عليه السلام، وكلما أخبرته بسلامته وصلاحي أحواله، استبشر وشكر الله. ثم أدخلني داره، وصدّرتني في مجلسه، وجلس بين يدي، فأخرجتُ إليه كتابه عليه السلام، فقبله قائماً وقرأه، ثم استدعى بماله وثيابه، فقامني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته، وفي كل شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول: إي والله، وزدت على السرور، ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة مما يتوجه عليّ منه، وودّعتُه، وانصرفتُ عنه.

فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحجّ في قابل وأدعوه له، وألقى الصابر عليه السلام وأعزفه فعله، ففعلتُ ولقيتُ مولاي الصابر عليه السلام وجعلتُ أحدثه ووجهه يتهلل فرحاً، فقلت: يا مولاي هل سررتك ذلك؟ فقال: إي والله، لقد سررتني وسرّ أمير المؤمنين، والله لقد سرّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد سرّ الله تعالى...).

(المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨/ ١٧٤)

الفقه

الفهم على دقة وتأمل

المحقق الشيخ حسن المصطفي رحمته الله

موارد التفقه

يدل ما تقدم على أن الأصل الواحد في المادة: هو فهم على دقة وتأمل، وبهذا القيد يفرق الفقه عن مواد العلم والمعرفة والفهم وغيرها. فالتفقه تفعل، ويدل على اختيار الفهم والدقة. والفقه غير مخصوص بالكلام. بل كل موضوع يقتضى الفهم والدقة والتأمل فيه، يصدق فيه التفقه.

فالتفقه في القول، كما في:

- ﴿وَأَحَلُّ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾. (طه: ٢٧-٢٨)
- ﴿قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ...﴾. (هود: ٩١)
- ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ قَوْلًا﴾. (الكهف: ٩٣)

وفي المعاني والمعارف، كما في قوله تبارك وتعالى:

- ﴿... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحِدْرِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾. (الإسراء: ٤٤)
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. (المنافقون: ٣)

وفيما يرتبط بالأمر الأخروية:

- ﴿... وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. (التوبة: ٨١)

وفي مطلق التفقه:

- ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. (التوبة: ٨٧)
- ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. (التوبة: ١٢٧)

* الفقه: هو فهم الشيء وإدراكه والعلم به. وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص ذلك بعلم الشريعة. تقول: فقهت الحديث، أفقته. * وفقه فقهاً، من باب تعب: إذا علم. وفقه، بالضم، فقهاً أو فقاهة: مثله. وقيل: الضم، إذا صار الفقه له سجية. فيقال: رجل فقه وفقه، بضم القاف وكسرها، وامرأة فقهة، بالضم. * ويتعدى بالألف فيقال: أفقحتك الشيء، أي بينته لك. وقولهم: هو يتفقه في العلم، مثل قولهم: يتعلم.

(انظر: مصباح الفيومي؛ مقاييس اللغة)

الفرق بين العلم والفقه

الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يقال: إن الله يفقه، لأنه تعالى لا يوصف بالتأمل. وتقول لمن تخاطبه: تفقه ما أقوله، أي تأمله لتعرفه.

ولا يستعمل الفقه إلا على معنى الكلام؛ كما في الآية:

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: أي بلفظ التسبيح، وهو قول. وسُمي علم الشرع فقهاً؛ لأنه مبني عن معرفة كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله.

الفرق بين العلم والفهم

الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة، ولهذا يقال: فلان سيئ الفهم، إذا كان بطيء العلم بمعنى ما يسمع. ولا يجوز أن يوصف الله بالفهم، لأنه تعالى عالم بكل شيء على ما هو به فيما لم يزل.

(انظر: الفروق اللغوية للعسكري)

* (التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٩، ص ١٢٣-١٢٥، بتصريف)

الأحكام والمقررات المرتبطة بالأعمال الخارجية والعبادات والمعاملات.

وبمناسبة هذه الآية الكريمة اختُصَّ «الفقيه» في لسان أهل الدين: بمن يكون متفقهاً في الدين، ولما كان المتداول في ما بين عموم المتدينين الأحكام المربوطة بالطاعات والمعاملات: جعل مختصاً في ما بينهم بمن يتفقه في تلك الأحكام.

ومن المؤسف غفلة الناس عن هذه الحقيقة، حيث لم يتوجهوا إلى معارف الإسلام وإلى تهذيب النفس وأحكامها، مع أنّ حقيقة الدين هي معارفه، والفلاح في تزكية النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾. نعم، اكتفوا من الأصول والحقائق بالفاظها، وغفلوا عن حقائقها وعن حقائق ما يرتبط بعلوم التزكية.

فظهر من موارد الأصل في هذه الآيات أنّ الفقه بمعنى الفهم على دقة وتأمل. والفقيه هو من يكون متصفاً بهذه الصفة. وهو مطلق ولا يختص بمورد.

معنى التفقه في الدين

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ...﴾ (التوبة: ١٢٢)

الدين هو الخضوع تحت برنامج ومقررات وأحكام معينة، ويُراد منه دين الإسلام. وبرنامج الإسلام في المرتبة الأولى هو الاعتقادات والحقائق والمعارف الإسلامية. ثم ما يرتبط بتزكية النفس وتهذيبها وتحصيل الروحانية الباطنية. ثم

إنما العلم ثلاثة...

«.. عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، قال: (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل. فقال صلى الله عليه وآله: ما هذا؟ فقيل: علامة!»

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما العلامة؟ فقيل: أعلم الناس بأسباب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار والعربية. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه.

ثم قال النبي ﷺ: إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل). والمستفاد من هذه الرواية حصر العلم الموصوف بالصفتين في الثلاثة.

ثم إن المراد بالآية المحكمة: يحتمل أن يكون العقائد الحقة وأصول الديانات، وأن يكون الآيات المحكمات من الأنفس والآفاق التي تكون دلائل على وجود الصانع جل شأنه وحكمته، أو من القرآن؛ إذ في غير موضع منه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمَنْ يَعْقِلُ﴾؛ حيث يذكر دلائل المبدأ والمعاد.

والمراد بالفريضة العادلة: علم الأخلاق التي محاسنها من جنود العقل ومساوئها من جنود الجهل والنفس؛ فإن التحلي (بالأولى) والتخلي عن الثانية فريضة شرعية في الجملة وواجبة خلقية مطلقاً. وعدالتها كناية عن توسيطها بين طرفي الإفراط والتفريط.

والمراد بالسنة القائمة: شرائع الأحكام ومسائل الحلال والحرام. وانحصار العلوم الدينية في الثلاثة، وكون ما سواها فضلاً أو فضولاً، واضح على ما عرفت من الوجه في المعاني الثلاثة».

(الآشيباني، بحر الفوائد: ج ١، ص ٢٨٣ - ٢٨٤)

المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته من مواعظ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

- * «الشَّيْخُ فِي أَهْلِهِ كَالْتَبِيِّ فِي أُمَّتِهِ».
- * «أَتَحْسَبُونَ الشَّدَّةَ فِي حَمْلِ الْحِجَارَةِ؟! إِنَّمَا الشَّدَّةُ أَنْ يَمْتَلِيَّ أَحَدُكُمْ غَيْظًا ثُمَّ يَغْلِبَهُ».
- * «الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ حَتَّى تَحَالَهُ مِنَ اللَّيْنِ أَحْمَقٌ».
- * «اتَّقُوا الْحَجَرَ الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْخِرَابِ».
- * «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهَا لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ».
- * «السُّيُوفُ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ».
- * «صَلُّوا قَرَابَاتِكُمْ وَلَا تَجَاوِرُوهُمْ، فَإِنَّ الْجَوَارِ يُورِثُ بَيْنَكُمْ الضَّغَائِنَ».
- * «صَلَاةٌ بِسِوَاكَ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سِوَاكَ».
- * «الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ».

(نهج الفصاحة: الكلمات القصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، إعداد: أبو القاسم پاينده)

لغة

- * العنت: الهلاك، وأصله المشقة والصعوبة. والوقوع في أمرٍ شاق. وأيضاً الخطأ، والضرر والفساد، والفجور والزنا. وهو مصدرٌ من باب تعب.
- * قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٥، العنت، بالتحريك، الوقوع في الإثم.
- * قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ آل عمران: ١١٨، أي تمنوا عنتكم، وهو لقاء الشدة والمشقة.
- * قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٠، أي لأهلككم، ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب عليكم أداؤه، كما فعل بمن كان قبلكم.
- * قوله تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وآله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨، أي يشق عليه ضرركم أو هلاككم.
- * وفي الحديث: «لا تسأل تعنتاً». التعنت: طلب العنت، وهو الأمر الشاق، أي لا تسأل لغير الوجه الذي ينبغي طلب العلم له، كالمغالبة والمجادلة.

(مجمع البحرين: ٢/٢١١، بتصرف)

زاوية مخصصة لأوراق من التاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسية

تاريخ

أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادة محمد بن أبي بكر

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه دخول جيش معاوية إلى مصر وغلبتهم عليها، وشهادة محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه، وقد حزن عليه حتى بان فيه، ورؤي في وجهه عليه السلام، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال:

«ألا إن مصر قد افتتحتها الفجرة، أولو الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً. ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد، فعند الله نحسبه، أما والله إن كان - كما علمت - لومن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويغض شكل الفاجر، ويحب هدي المؤمن.

إني والله ما ألوم نفسي على التقصير، وإني لمقاساة الحرب لحد خبير، وإني لأقدم على الأمر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرحكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي عواقب الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم النار، ولا تنقضي بكم الأوطار. دعوكم إلى غياث إخوانكم، فجز جزئكم جز جزة الجمال الأشدق، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له في الجهاد واكتساب الأجر نية، ثم خرج إلي منكم جنيدهم مذبذب؛ ﴿.. كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾...».

(الشيخ هادي كاشف الغطاء، مستدرک نهج البلاغة، ص ٦٥-٦٦)

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديين

بلدان

كشمير

* كشمير هي المنطقة الجغرافية الواقعة بين الهند وباكستان والصين في شمال شرق آسيا، وتعرف تاريخياً بأنها المنطقة السهلة في جنوب جبال الهماليا من الجهة الغربية.

* مساحتها ٢٤٢ ألف كم^٢ وعدد سكانها ١٥ مليون نسمة حسب تقديرات عام ٢٠٠٠م، ٩٠٪ منهم مسلمون.

* كشمير نقطة ساخنة للنزاعات، ذلك أنها مقسمة بين ثلاث دول؛ وتدعي كل من الهند وباكستان أحقيتها بالإقليم كاملاً، وتستند كلا الدولتين إلى مجموعة من «الحقائق» التاريخية والديموغرافية لتدعم مطالبها بحكم الإقليم وضمه كاملاً، بينما تطالب مجموعة متزايدة من السكان بالاستقلال الكامل عن الدولتين.

* يبلغ عدد المسلمين الشيعة في كشمير حوالي ثلاثة مليون نسمة، وهم موزعون بين القسمين الهندي (جامو)، والباكستاني (آزاد كشمير وعاصمته مظفر آباد)، وغير متواجدين في القسم الصيني منها (أكساي تشين).

* يشكل المسلمون الشيعة في كشمير أغلبية مطلقة في «سرينغار» عاصمة القسم الهندي، وهم مهمشون سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في القسم الباكستاني، وقد تعرضوا تاريخياً لاضطهاد شديد ما بين منتصف القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتستمّر معاناتهم حتى يومنا هذا، وإن بأشكال متفاوتة.

(مواقع)

.. سرُّ السجودِ في الملائِ الأعلى

أبيات من «الأزريّة» في مدح النبيِّ الأعظم ﷺ

■ الشيخ كاظم الأزري التميمي

في أجواء المولد النبوي الشريف، اختارت «شعائر» أبياتاً من الملحمة الشعرية في مدح النبي وأهل البيت عليه وعليهم صلوات الله وسلامه، للشاعر الكبير الشيخ كاظم الأزري التميمي، المتوفى سنة ١٢١١ هجرية.

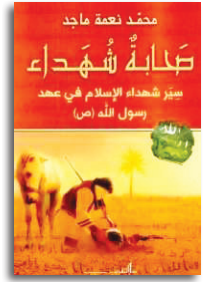
لَيْسَ يَقْوَى رَضْوَى عَلَى مُلْتَقَاهَا
بِذِمَامٍ مِنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ طَه
أَوْفَرَ العُربِ ذِمَّةً أَوْفَاهَا
وَهُوَ الغَايَةُ الَّتِي اسْتَقْصَاهَا
فَرَأَى ذَاتَ أَحْمَدٍ فَاجْتَبَاهَا .."
صُحِفَ أَفلاكِهَا بِهِ فَطَوَاهَا
شَاهَدَ القِبْلَةَ الَّتِي يَرْضَاهَا
فَأَفَاضَتْ عَلَيْهِ رَوْحَ نَدَاهَا .."
الأَفلاكِ أَمْ طَاطَأَتْ لَهُ فَرَاقَهَا
دُونَ مِقْدَارِ لِحْظَةٍ أَنَهَا
حَيْثُ حَرُّ الرُّبَى يُذِيبُ حَصَاهَا
بَعْدَمَا عَادَ لَيْلُهَا يَغْشَاهَا
ظِلَالٌ وَقْتُهُ مِنْ رَمْضَاهَا
كَاخْضِرَارِ الأَمَالِ مِنْ يُسْرَاهَا .."
فَاسْتَقَرَّتْ بِهِ عَلَى مَجْرَاهَا
وَالنَّارَ بِاسْمِهِ أَطْفَاهَا
أَطَاعَتْ تِلْكَ الِيمِينَ عَصَاهَا
فَأَجَابَتْ نِدَاءَهُ مَوْتَاهَا
الأَعْلَى وَلَوْلَاهُ لَمْ تُعْفَرْ جِبَاهَا
فَفِي عَيْنِ كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهَا .."

كُلُّ يَوْمٍ لِلْحَادِثَاتِ عَوَادٍ
كَيْفَ يُرْجَى الخِلاصُ مِنْهُنَّ إِلَّا
مَعْقِلِ الخَائِفِينَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ
أَيُّ خَلْقٍ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ
قَلْبَ الخَائِفِينَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ
مَنْ تَسَنَّى مَتْنِ البُرَاقِ لِيَطْوِي
وَتَرَقَى لِقَابِ قَوْسَيْنِ حَتَّى
وَعَلَى مَتْنِهِ يَدُ اللهِ مُدَّتْ
لَيْتَ شِعْرِي هَلِ ارْتَقَى ذُرُوءَهُ
أَمْ لِسِرٍّ مِنْ مَالِكِ المُلْكِ فِيهِ
كَمْ رَوَى العَسْكَرَ الَّذِي لَيْسَ يُحْصَى
وَأَعَادَ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ قَسْرًا
وَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ كِلَلِ السُّحْبِ
وَاخْضَرَ العَصَا بِيَمْنَى يَدَيْهِ
وَسَمَّتْ بِاسْمِهِ سَفِينَةُ نُوحٍ
وَبِهِ نَالَ خَلَّةَ اللهِ إِبْرَاهِيمَ
وَبِسِرِّ سَرَى لَهُ فِي ابْنِ عِمْرَانَ
وَبِهِ سَخَّرَ المَقَابِرَ عَيْسَى
وَهُوَ سِرُّ السُّجُودِ فِي المَلَأِ
وَهُوَ الأَيَّةُ المَحِيطَةُ فِي الكَوْنِ

الكتاب: صحابة شهداء (سير شهداء الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله)

المؤلف: محمد نعمة ماجد

الناشر: «دار التقريب»، بيروت، ٢٠١٧م



يستعرض هذا الكتاب (صحابه شهداء) لمؤلفه الباحث والإعلامي محمد نعمة ماجد، سير الصحابة الكرام الشهداء الذين قَضُوا وهم يقاتلون إلى جانب رسول الله ﷺ مبرزاً أهم تفاصيل حياتهم: إسلامهم، تأخيهم، مواقفهم المشرفة، جهادهم، وصولاً إلى شهادتهم. وكانت مادة الكتاب قد أعدت لتكون برنامجاً متلفزاً يحكي قصص هؤلاء الأبطال، ثم أعيدت صياغتها لتكون كتاباً، مع ما يستلزم ذلك من مزيد بحث وضبط وتحقيق. جاء في مقدمة المؤلف: «كان أن عرضت في هذا الكتاب لسير ستين من الصحابة الكرام الشهداء بصورة سردية، تحمل في طياتها أبرز تفاصيل حياتهم موصولة بشهادتهم، ثم أتبعتها بمسردٍ فيه الصحابة الشهداء كافة من الذين بلغنا أسماؤهم من دون تفاصيل كثيرة...». ويقول في موضع آخر منها: «حاولت أن أعتمد لغة سهلة واضحة في عرض السير طمعاً في وصولها إلى أكبر شريحة ممكنة من القراء، غير أنني بذلت الوسع في المصادر والمراجع الأساسية الكبرى في استخراج قصص الشهداء وأخبارهم، واعتمدت الروايات التي تحظى باتفاق بين المؤرخين غالباً...».

الكتاب: أصول تزكية النفس وتوعيتها

المؤلف: السيد محمد باقر السيستاني

الناشر: «دار البذرة»، النجف الأشرف ٢٠١٧م



أصولٌ ثمانية لتزكية النفس وتوعيتها تشكل موضوع هذا الكتاب التخصصي في الأخلاق النظرية والعملية. وهذه الأصول، كما يعددها السيد المؤلف، هي:

(١) التحلي بروح الحكمة في الحياة.

(٢) قوة العقيدة بأصول الدين التي تمثل حقائق الوجود الكبرى.

(٣) الاطلاع على أصول سنن الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة، الظاهرة منها والباطنة.

(٤) معرفة الإنسان بنفسه والسنن النفسية حتى يتمكن من سوقها سوقاً راشداً، ويحذر نمو بذور الشر والشقاء فيها.

(٥) معرفة الفضائل والردائل التي هي السنن التفصيلية الواضحة للخير والشر، والوقوف على آثارها.

(٦) اتباع السنة واجتناب البدعة تبيناً للسنن التفصيلية في ما تشبه الأمور فيه على العقل، فينبغي أن يهتدي فيه بالشرع.

(٧) رقابة الإنسان على نفسه ليكون قيماً عليها بين تناقض مقتضياتها وتضاد جهاتها، فيأمن خداعها، ويضمن صوابها.

(٨) تربية النفس على الأعمال الصحيحة، وتجنب الأعمال الخاطئة، وتنمية القيم الفاضلة.

وعن المراد بـ«توعية النفس» في عنوان البحث، يقول المؤلف: «ليس المراد بتوعية النفس تحصيل المرء للعلم بما هو الحق والصواب، بل ضربٌ من التنبيه والتبصر للإنسان لِمَا فرغ من حقايقته وصوابه حتى تكون فاعلةً في النفس وتممكناً منها ومؤثرةً في العمل بمقتضياتها، ومستتعبةً لتفريعاته وآثاره...».

مائة عام على الوعد المشؤوم

الانتداب البريطاني إطار عملي لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين

— علي هويدي* —

المتفحص لصكّ الانتداب البريطاني على فلسطين بمواده الـ(٢٨)، والذي تمّت المصادقة عليه واعتماده من قبل «عصبة الأمم» في تموز ١٩٢٢م، لا يستطيع إلا أن يستنتج بأن «الصكّ» سياسي وليس له علاقة بالشقّ القانوني، رغم أنه صادر عن منظمة أممية اختارت لنفسها شعار العدل والسلام بعد الحرب العالمية الأولى. وكان من صاغه قد تخرّج ووزير خارجية بريطانيا جيمس آرثر بلفور من مدرسة واحدة، ويدرك المتفحص أيضاً إلى أي مدى وصل حجم التآمر الأممي على فلسطين، وكيف جرى التحضير والتخطيط والتمهيد للاستيلاء عليها وتسليمها للعصابات الصهيونية الغزاة الغرباء في العام ١٩٤٨م، ولم يكن هذا ليحدث لولا التغلغل والنفوذ الصهيوني وتأثيره على صانع القرار لدى دول الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى (بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وإيرلندا) وتبني تلك الدول لوعده بلفور للعام ١٩١٧م.

جاء في ديباجة «الصكّ» الذي اعتمده ووافقت على محتواه ٥٨ دولة هي «عصبة الأمم»، بعد أن وافقت أن تكون بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين، والتوافق بأن يُعهد إليها بالتنفيذ بالنيابة عن «عصبة الأمم»: «.. ولما كانت دول الحلفاء قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧م، وأقرّته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين..». وتضيف الديباجة في الفقرة الثانية: «.. ولما كان قد اعترّف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، وبالأَسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد».

حتىّ اليوم لم يتمّ إثبات أن اليهود كانوا شعباً موحداً على أرض موحدّة وفق معايير القانون الدولي، إذ كانوا ينتمون إلى الشعوب والقوميات التي عاشوا في كنفها كاليهود العرب، واليهود الفرنسيين والألمان وغيرهم، وبالتالي لا يُمكن إعطاؤهم كذلك الصفة القومية وهم المشتتون على الأقل منذ مئات السنين، وإذا كانت «عصبة الأمم» تريد حلّ مشكلتهم؛ «شعب وقومية»،

صكّ الانتداب البريطاني على فلسطين الصادر عن «عصبة الأمم» يعترف بما سمّاه: «الصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، وبالأَسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد»!

وأن تعطيهم حقّ تقرير المصير، فلا يعقل وفق الأنظمة والقوانين التي أنشأتها هي عند إطلاقها في العام ١٩١٩م، أن يكون الحلّ على حساب أرض الغير وتشريد شعبه وسرقة ممتلكاته؛ «الأرض الفلسطينية والشعب الفلسطيني».

* كاتب وباحث في الشأن الفلسطيني

ويعترف الصكّ بـ«الجمعية الصهيونية» كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أنّ تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض، ويترتب على «الجمعية الصهيونية» أن تتخذ ما يلزم من التدابير، بعد استشارة حكومة صاحب



دخول القوات البريطانية إلى القدس سنة ١٩١٧م

الجلالة البريطانية، للحصول على معونة جميع اليهود الذين يرغبون المساعدة في إنشاء الوطن اليهودي». وليس بعد هذا تأسيس أمن لتتنسيق الدائم بين بريطانيا والصهاينة للتمهيد لقيام الكيان المحتل. ما تبقى من مواد لـصكّ الانتداب بمجمّلها إنّما تخدم هذا التوجه الإستراتيجي. لم يكن الانتداب على فلسطين إلاّ تكريساً لدور بريطانيا الاستعماري، بموافقة وغطاء ودعم أممي منذ العام ١٩١٧م حتّى يومنا، وهو ما يجب أن يبقى حاضراً وبقوّة عند استحضار مئوية وعد بلفور وآثاره الكارثية على الشعب الفلسطيني وعلى كرامة الإنسان.

وبهذا المعنى لم يكن ضمّ «وعد بلفور» لـصكّ الانتداب البريطاني الاستعماري سنة ١٩٢٢م إلاّ سياسياً ومخطّطاً للهيمنة والسيطرة على فلسطين، ناهيك عن أن انتداب بريطانيا على فلسطين وفق ما جاء في عصبة الأمم هو من الفئة (أ)، ويعني وفق تعريف «العصبة» تهيئة الشعب المنتدب لحقّ تقرير مصيره، وهو ما خالفته بريطانيا وعملت على تمكين العصابات الصهيونية، وتسليمها فلسطين دولة موصوفة كاملة الأركان في العام ١٩٤٨م.

جاءت المادة الثانية من الصكّ لتزيد الطين بلّة، ولتأكد دور الانتداب البريطاني بتطبيق ما جاء في وعد بلفور: «تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصكّ، وترقية مؤسّسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة أيضاً عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكّان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين».

يحلّو للبعض أن يدعو إلى تطبيق الجزء الثاني من المادة الثانية لـصكّ، بالدعوة إلى «صيانة الحقوق المدنية والدينية..» لسكّان فلسطين، وكأنّ الظلم الذي وقع على القضية الفلسطينية هو بعدم تطبيق هذا الجزء فقط، وهذا يجافي الحقيقة الإستراتيجية للطرح؛ بأن لبّ المشكلة هي سياسية بموافقة الدول النافذة على إعطاء ما لا تملك لمن لا يستحقّ، والتغافل عن حقّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

وتأتي المادة الرابعة من الصكّ لـ«تشرّع» الهجرة اليهودية إلى فلسطين وحمايتها؛ إذ يعترف الصكّ «بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين، والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكّان اليهود في فلسطين».